(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو[1]

(١٩٣٨- ١٩٩٩م)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

أيتهـا النفـسُ أجملـي جزعـا إن الـذي تحذريـن قـد وقعـا

أقف موقفي هذا يُظلّلني الخشوع، ويلفّني الحزن والأسى أسفاً علـى

---

(١) اختاره الله إلى جواره في فجر يوم الاثنين ١٩٩٩/٩/٢٠م، بأحد مستشفيات باريس.

وقد أقامت الهيئات والمؤسسات العلمية التي عمل فيها حفل تأبين له مساء الثلاثاء ١٩٩٩/١١/٢م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاته.

وننشر هنا كلمتي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نائب رئيس المجمع، اللتين قيلتا في حفل التأبين. وستنشر هيئة الموسوعة العربية - وكان رحمه الله المدير العام لها - جميع كلمات حفل التأبين في كتيّب خاص، وتضم إليها طائفة طيبة من الكلمات التي كتبها أصدقاء الفقيد وعارفوه، تقديراً لفضله، وإشادة بمناقبه، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجعل مثواه في عليين.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقد الصديق العزيز الأستاذ مسعود الذي اختطفته المنية، أكثرَ ما كان عطاءً، وأكملَ ما كان عملاً، فكانت الفجيعةُ به بالغة.

أذكره فأذكر شمائله الغُرّ، وما تحلّى به من خصال طيبة حبّبته إلى معاشريه وأصدقائه والعاملين معه. يلقاك بابتسامته الحلوة، ويحدّثك ويحاورك فيما تتجاذبان من قضايا بصوته الهادئ العذب، فلا تحسّ أنه يغالبك، بل يبسط لك الرأي لتختار طريقك بعد اقتناع. وإنه ليملك إعجابك بدماثة خلقه، وشدة تهذيبه، وطيب قلبه، وتواضعه، فتحسُّ أنك قريب إليه، محبٌّ له.

عرفتُ الأستاذ مسعوداً، رحمه الله، زميلاً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة دمشق)، والتقينا مراراً على منصة الحكم في مُدرّج الكلية نناقش رسائل الماجستير والدكتوراه، وجمعتنا ندوةٌ حافلة في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد (٦/ ٦/ ١٩٩٢م) تحدثنا فيها عن أعمال الأستاذ العلامة محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق.

وبدا لي الصديق الكريم في مواقعه تلك الأستاذ العارف المتقن، يستقصي وينقّب ويبحث ليقدم الرأي الدقيق الحصيف، مع الأناة وحسن التأتّي، قد جمع صفتي العالم والمربّي.

وشاءت المصادفات السعيدة أن نجتمع بعدُ في كنف الموسوعة العربية، فقد تولّى منصب المدير العام المساعد لهيئة الموسوعة العربية (القرار الجمهوري رقم ٤٦ تاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٩٣م)، وعملنا معاً سنة ونيّفاً كانت من أجمل أيامنا (١٠/١٠/١٩٩٣- ٣١/١٢/١٩٩٤م)،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعرفتُ فيه عن قرب الصديق الصدوق، وحُبّب إلى نفسي ما فطر عليه من السجايا الحميدة، إلى جانب ما يتحلى به من صفات الجدّ والدأب والإخلاص في العمل، مع المعرفة العميقة الواسعة والكفاية.

وقد أتاحت له قراءاته الواسعة، ومواهبه ونشاطه المتواصل أن يبرّز في فنون من القول، وأن يشارك في مجالات مختلفة، فكتب المقالات والخواطر والقصة وأمثالها في المجال الأدبي، وكتب البحوث النفيسة في المجال اللغوي. وكانت له الدراسات اللغوية التاريخية التي امتدّ القول في بعضها، مثل مقالته «من تاريخ اللغة العربية»[1].

وكان له مشاركات في الندوات والمؤتمرات اللغوية والأدبية، وقام بالإشراف على الرسائل الجامعية، كما شارك في مناقشة مجموعة طيبة منها، وألقى المحاضرات في المراكز الثقافية والنوادي الأدبية، إلى غير ذلك من ضروب النشاط، ومنها مقالاتُه في الصحف، وأحاديثُه في الإذاعة، ويغلب عليها التوجيه اللغوي، أو الحديثُ الأدبي والثقافي. وقد نشر قسماً صالحاً من مقالاته اللغوية والأدبية والثقافية في مختلف المجلات في سورية والبلاد العربية.

ولعل من الخير أن تُجمع هذه المقالات وسواها مما نعثر عليه في المجلات والصحف لتصدر في كتب تجمعها فتغدوَ ميسّرةً لقرائها

(١) نشر منها سبع مقالات في مجلة: «دراسات تاريخية»، (س١٠ ع٣٣-٣٤، س١١ ع٣٧-٣٨، س١٤ ع٤٧-٤٨، س١٥ ع٤٩-٥٠، س١٦ ع٥١-٥٢، س١٧ ع٥٥-٥٦، س١٩ ع٦٣-٦٤) وكان رحمه الله عازماً على إتمامها.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطالبيها.

وأبرز مؤلفاته ستة كتب:

١- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج (وزارة الثقافة ١٩٨٢م) وهو رسالته للدكتوراه.

٢- نافذة على اللغة (دار البعث ١٩٨٣م) وهو مجموعة بحوث وزوايا لغوية كانت تنشر في صحيفة البعث.

٣- دراسات في اللغة (جامعة دمشق ١٩٨٤م) ويقع في قسمين: قسم خصص لعلم اللغة (اللسانيات)، وقسم لفقه اللغة العربية. وكان مقرراً لطلبة السنتين الثالثة والرابعة في قسم اللغة العربية.

٤- أبحاث في اللغة والأدب (دار شمأل بدمشق ١٩٩٤م) وهو مجموعة من البحوث اللغوية المتخصصة نشر معظمها في الدوريات العربية داخل سورية وخارجها.

٥- في فقه اللغة العربية (جامعة دمشق ١٩٩٤- ١٩٩٥م) وكان مقرراً لطلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العربية.

٦- الصوت والصدى (اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩م) وهو كتابات تغلب عليها الخواطر والتأملات.

* * *

وقد هيأت دراساته الكثيرة، وقراءاته الواسعة المنوعة، ونشاطه المتوقد، ومشاركاته العلمية والأدبية الجمّة، وتعمقه في دراسة العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتفهُّم أسرارها، وعرضُه لجملة من قضاياها، أن يقع الاختيار عليه لعضوية مجمع اللغة العربية، فانتخبه مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ١٩٩٦/٢/٢٨م، عضواً عاملاً في المجمع، وصدر المرسوم الجمهوري (ذو الرقم ٤٨ في ١٩٩٧/٣/١٣م) بتعيينه، فانضم إلى مجمع الخالدين، وخصّه بجانب من وقته ونشاطه، فكان عضواً في أربع من لجان المجمع: لجنة المعجمات، ولجنة النشاط الثقافي، ولجنة الأصول، ولجنة المجلة إلى جانب مشاركته الجادة في مجلس المجمع. وعلى قصر المدة التي أمضاها، رحمه الله، في المجمع فقد كان طاقةً متجددةً في لجانه ومجلسه، وكان لمناقشاته ومقترحاته صداها الطيب، وآثارُها الفاعلة في نفوس زملائه. ولم يُغْفل الكتابة في مجلة المجمع ولا المحاضرة في موسم محاضراته[1].

إن المرء ليعجب وهو يتابع سيرة الأستاذ الكريم، رحمه الله، من قدرته الفائقة في ضبط الوقت، والإفادة من كل دقيقة، فكان في نشاطه مضرب المثل، يقوم بكل المهام المنوطة به على أتمّ وجه، ثم لا يصرفه ذلك كله عن الكتابة والبحث. كان المدير العام لهيئة الموسوعة العربية، والأستاذ بكلية الآداب، وعضوَ مجمع اللغة العربية، وعضو اتحاد الكتاب العرب. واستطاع، بما أُوتي من قدرة على التنظيم، أن يلبّيَ كل متطلبات هذه المهامّ، لا يكاد يخرم منها شيئاً، وأن يقدّم الكثير الطيّب من المقترحات التي تجوّد العمل وتحسّنه.

لقد رُزق، رحمه الله، حبَّ القراءة وموهبةَ الكتابة، مما أتاح له أن يقدّم هذه الثروة الفكرية الطائلة. ولئن كان الجانب اللغوي محور عمله وميدانه الذي يجول فيه، إنَّ ذلك لم يمنعه من الإطلالة الواسعة على

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣: ٢٣٧، ٥٥٥، مج ٧٤: ١٣٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ميادين الثقافة فعبّ منها ونهل. ومن هنا يطالعك هذا التنوعُ الجميل في نتاجه الخصب، وهو تنوع يتناول المادة والأسلوب معاً. إنه يواجهك في كتبه اللغوية بأسلوبه الرصين يميل به إلى الجزالة، وهو يختار الكتابة السهلة في كتبه التعليمية، فإذا آثر كتابة الخواطر والتأملات غلب على أكثرها الرقة والعذوبة والخيال.

وإذا كان المقام لا يتسع لي لوقفة تحليل وعرض لهذا النتاج فإنه لابد لي من إشارة عابرة لظاهرة استوقفتني هي ما يطفح به قلب فقيدنا الغالي من حب عميق لوطنه وبلده، وتعلقٍ شديد بلغته العربية الشريفة، ومقاومة صلبة لمشروعات الاستعمار البغيضة.

لقد كانت هذه العواطف الكريمة هي الموجه الأول له في حياته، تراها تنسرب بين كلماته هنا وهناك. ونظرة إلى كتابه الأخير: «الصوت والصدى» تفصح عن الكثير الكثير مما ذكرت.

يا فقيدنا الغالي

فارقتنا أحبَّ ما كنت إلينا، وأسعدَ ما كنّا بك. كنتَ في أوج عطائك، مازلتَ ناضرَ العود، واسع الأمل، ومازلتُ أذكر حديثك الرحب الفسيح عما تتطلع إلى إنجازه يوم ودّعتُك قبيل سفرك، وما خطر لي ببال أن يكون الوداع الأخير.

وقد كنت أرجو أن أُملاّك حقبةً فحال قضاءُ الله دون رجائيا

فليرحمك الله الرحمة الواسعة، ولينزلك منازل الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net